الابعاد الاجتماعية لزيارة الاربعين (العمل التطوعي انموذجا)

الأستاذ الدكتور أمل سهيل عبد الحسيني
جامعة الكوفة – كلية التربية المختلطة

Social extents of the Arba'een (volunteer work as an example)

Professor Dr. Amal S. Al-Husaini
University Of Kufa - Faculty Of Education
amals.alhusainy@uokufa.edu.iq

الملخّص :

يناقش البحث تجربة انسانية فريدة من نوعها الا وهي (العمل التطوعي) هذه التجربة التي تمتد جذورها الى اعمق اعماق التاريخ ، فوجد العمل التطوعي بعد ان استعمر الانسان هذه الارض و وجد بعد حدوث النكبات والازمات والكوارث عند البشر.

اما العمل التطوعي في زيارة اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) فله حكاية اخرى غير كل الحكايات فمن يقوم به يسعى للحصول على الاجر الدنيوي والاخروي ، فهذه الزيارة كانت لها ابعاد اجتماعية عظيمة كان اهمها العمل التطوعي الذي يسلكه ابناء الشعب العراقي بعد سقوط النظام الجائر.

الكلمات المفتاحية : الامام الحسين (عليه السلام) ، زيارة الأربعين ، العمل التطوعي ، تعاون ، خدمة الاخرين ، الايثار ، شعائر دينية ، تعارف المؤمنين .

Abstract:

This research discusses a unique human experience which is the (Volunteer Work), the roots of this experience extended to the profoundness of the human history. So, the Volunteer work was found after the man settled on the earth and also was found after the crises and disasters.

But, the volunteer work in Arba'een has a different story which is the one who do it is doing it seeking the "thawab", So the Arba'een have great social extents, the most important of which is the volunteer work of the Iraqi people after the falling down of the dictatorial regime of Saddam.

Key words : Imam Husain , Arba'een , Volunteer Work , Karbalaa , Social extents , Cooperate , Meeting , Religious rites .

المقدمة

لقد أحدثت زيارة الاربعين المليونية انعكاسات فريدة من نوعها على الروح والنفس البشرية من كافة النواحي؛ لما تلهمه هذه الشعيرة المقدسة من الانجذاب الروحي لصاحب الذكرى الإمام الحسين(عليه السلام) خاصة ولصحابته الأفذاذ عامة، حتى صار الإنسان المؤمن يعيش من خلالها حالة الصفاء الروحي مع المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه بكل حب وود إلهيين، وهذا الانعطاف الكبير انعكس بصورة ايجابية على الساحة الدولية لمذهب الشيعة الامامية، فصارت الدول الكبرى تراقب كل عام هذه الملحمة الحسينية الخالدة،وأخذت تبثها عبر الأقمار الصناعية؛ نظرا لأهميتها وخطورتها على الوضع العام في منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة والعالم اجمع بصورة عامة، وقد سُجل ذلك باعترافات الساسة الدوليين عبر قنوات التواصل الاجتماعي ، لا سيما مسألة العمل التطوعي التي شغلت القنوات الفضائية، فوقفت أمامه وقفة إجلال وتقدير مرة، وخوف من اتساعه مرة أخرى، لما له من تأثير على مصالحهم في العالم الاسلامي . ونظرا لهذه الأهمية ولوجل الدول الكبرى منه، نسلط الأضواء على ظاهرة العمل التطوعي ، وهذه الثقافة التي تعد دليلا على يقظة المجتمعات البشرية وشعورها باهمية دورها البناء تجاه أبنائها، إذ ان نشرها بين أفراد المجتمع يعد من الركائز الأساسية لتماسك هذا المجتمع وغرس القيم النبيلة فيه؛ لما لها من انعكاسات ايجابية على بناء عقيدة الأمة وآثار تربوية على القيم والأخلاق والفضائل، وهذا ما أرّق الدول.

المطلب الاول: المعطيات الاجتماعية العامة لزيارة الاربعين:

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتميز عن باقي الاديان بشمولية قوانينه للدين والدنيا معا، فشموليته الدنيوية تكمن في قوانينه وآراءه وسننه وشموليته الاخروية تكمن في ما اعده الله تعالى للصالحين من ثواب وعقاب واجر عظيم للعاملين في هذه الدنيا وفق القوانين والسنن الاسلامية الصحيحة. ولو اردنا التاكد من هذا الكلام ناخذ مثالا على ذلك الصلاة مثلا التي قال عنها تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت/٤٥، فهذه الصلاة تحمل في طياتها جنبتين اساسيتين، احداهما تتعلق بعلاقة الانسان بربه وكيفية هذه العلاقة وطريقة اقامتها، اما الاخرى فتتعلق بآثار هذه العلاقة على الانسان اثناء تعامله مع الآخرين من

ابناء جنسه، وعليه فبقدر طاعته والتزامه باوامر الله ونواهيه تكون هذه العبادة مقبولة، يقول السيد مير علي الحائري الطهراني في تفسير الآية اعلاه:(في الآية دلالة على ان فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها الشرع والعقل، فاذا كان اثرها انها تنهى عن القبيح يكون توفيقيا، وقيل: ان الصلاة بمنزلة الناهي بالقول اذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر، وذلك لان فيها التكبير والتسبيح والقراءة والوقوف بين يدي الله وغير ذلك من صنوف العبادة، وكل ذلك يدعو الى شكله ويصرف عن ضده؛ لان شبيه الشيء ينجذب اليه، فحينئذ يكون الآمر والناهي ومؤد الى الخير وصارف عن الشر الذي ضده)[1]، فهي إذن تنهى عن كل قبيح يستشنعه الذوق السليم النابع من التزامه الديني، كأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وارتكاب الفواحش مثل الزنا واللواط..... وغير ذلك . وقد حث رسول الله واله الكرام (صلى الله عليهم) على مجموعة من العبادات والشعائر التي تقرب العبد الى ربه زلفى، ومن تلك العبادات زيارة قبور اولياء الله من النبيين والشهداء والصالحين، وهذا ما اكدت عليه كتب الفريقين سنة وشيعة وعملت به وترجمته على ارض الواقع، فصار المسلمون يتعاهدون قبور الانبياء والصالحين بالزيارة والدعاء في اضرحتهم لقضاء حوائجهم، فهذه ارض سوريا تضم اضرحة شتى، منها ضريح السيدة زينب بنت علي(عليها السلام)وضريح السيدة رقية بنت الامام الحسين(عليها السلام) ولكليهما منزلة عند السنة والشيعة، وكذلك مصر العربية تضم اضرحة شتى، منها مقام رأس الحسين(عليه السلام) ومقام السيدة زينب بنت علي ومقام السيدة نفيسة(عليها السلام)، كذلك في السعودية والاردن وغيرها من بقاع العالم الاسلامي، وفي كل هذا وذاك دليل على احترام المسلمين لهذه الشخصيات الاسلامية .

اما في العراق فنجد ان لكل مرقد من المراقد المقدسة قصة ومبلغ من الاحترام والتعظيم والتقديس في نفوس الشعب العراقي سنة وشيعة، وكان لمرقد الامام الحسين(عليه السلام) وما زال وسيبقى موضع الصدارة والعلو والرفعة من قبل المسلمين في شتى بقاع العالم، يتسابقون في الوصول اليه لا سيما في زيارة الاربعين، فصارت هذه الزيارة عنوانا للوفاء والولاء والتضحية لهذا الامام العظيم الذي ضحى بكل شيء من اجل اعلاء كلمة الحق والمبادئ والقيم والاخلاق ولاجل ان يرفع كلمة التوحيد عاليا؛ لذا قيل:(ان الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)، فهذا البقاء خلد في نفوس الملايين

من البشر، ليس الشيعة فقط بل جذب حتى غير المسلمين وشدهم اليه، فكان لهذه الشعيرة ابعاد جمة، منها ما هو اخلاقي، ومنه ما هو انساني، ومنه ما هو اقتصادي، ومنه ما هو سياسي. وقد كان البعد الاجتماعي اهم تلك الابعاد، لما له من أثر على شخصية المرء المسلم، لا سيما العمل التطوعي الذي نمىّ عند الشباب القيم الايجابية، كالإيثار والصبر والتعاون وإعادة الثقة بالنفس، (فعلى الرغم مما نعيشه اليوم ويعيشه شبابنا معنا في مجتمع مليء بالتناقضات والازدواجية، منها مثلا: تطرف ديني مقابل عري، زيادة فقر وفي نفس الوقت زيادة استهلاك، عدم اشباع حاجات اساسية مع زيادة ترف ومظهرية، الا ان هناك فئات من الشباب استطاعت التغلب على تلك التناقضات وقفزت بعيدا عنها موجهة طاقتها وجهدها ووقتها الى اعمال تهدف لخدمة المجتمع وتنميته اجتماعيا واقتصاديا دون انتظار عائد مادي او تحقيق مصلحة شخصية)[٢] . ومن هذا المنطلق سوف نسلط الضوء على اهم فوائد البعد الاجتماعي لهذه الزيارة المليونية:

البعد الاجتماعي للزيارة المليونية :

١- التقاء الناس وتعارفهم تحت مظلة الامام الحسين(عليه السلام):

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ الحجرات/١٣، فكان الهدف الاول لوجود الخليقة واختلاف الالوان والاشكال واختلاف الثقافات هو لأجل التعارف. قال بعض المفسرين:(ان كلمة شعوب هي اشارة الى طوائف العجم، واما القبائل فإشارة الى طوائف العرب)[٣]، وقد تحقق هذا الهدف السامي في المسيرات المليونية الحسينية بفضل الله علينا نحن العراقيين بصورة خاصة والعالم الآخر بصورة عامة، فبعد الظلم والجور الذي عانى منه الشعب العراقي والسجن الذي كان مفروضا عليه من قبل الطاغية صدام حسين لعنه الله، إذ انه فرض عليه اقامة اجبارية لا يلتقي بشعوب العالم ولا يخرج اليهم، حتى الفضائيات كان محروما منها، فلم يطلع على ثقافات الشعوب، ولم يختلط بشعب، لكنه بعد السقوط تنفس الصعداء وخرج الى العالم وتعرف على ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها، فمثلا نراه يختلط بالايراني والهندي والعربي ، وهذا التنوع خلق عنده ثقافات متعددة، وقد تركت لدى الشعب بصمات محمودة، فمثلا تعلمنا من الايراني النظافة والحرص واحترام النظام واحترام قوانين البلد، ومن العربي الكرم- ولو ان كرم العراقيين كان هو

الاول بشهادة موسوعة غينيتز التي اعتبرته اكرم شعب على الارض- وما الى ذلك من العادات المحمودة التي اخذناها عن غيرنا، حصل كل هذا ونحن نفتقد الامان على ارض هذا الوطن، فلو قدر للعراقيين توفر سبل الامان والطمانينة لكان الوضع غير ما نحن عليه اليوم، ولوجدت عدم وجود موطأ قدم على ترابه لكثرة الزائرين، ولرأيت الملايين على اختلاف جنسياتهم وانتماءاتهم تتزاحم وتتدافع على العراق ارض المقدسات، ارض كربلاء، ارض الفداء والقيم والبطولات والتضحيات والاخلاق .

٢- الوقوف صفا واحدا امام اعداء اهل البيت (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾الصف/٤، وقوله تعالى هذا ينطبق اليوم على كل من يقف في خندق اعداء اهل البيت (عليهم السلام)، فنحن نعيش اليوم عصر الفتنة والتفرقة الطائفية، ناهيك عن المؤامرات التي يحيكها الاعداء لأجل الايقاع بنا، فعلينا ان نكون امامهم كالبنيان المرصوص، ليس في جبهات القتال فحسب، بل في كل مجالات الحياة المختلفة، ويكون شبابنا (امام العدو قويا راسخا تتجسد فيه وحدة القلوب والارواح والعزائم الحديدية والتصميم القوي بصورة تعكس انهم صف متراص ليس فيه صدع او تخلخل)[٤]،وهذا المصداق تحقق في زيارة الاربعين، فنجد المؤمنين بعضهم بجانب بعض، كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم يسيرون نحو الحسين (عليه السلام) بخطى ثابتة، اذا رآهم العدو اهابهم وخافهم؛ لأنهم كتلة واحدة لا يمكن له تفتيتها او ثنيها عن عزمها؛ لأن حب الحسين هو الذي جمعهم، فصاروا في حبه كالبنيان المرصوص؛ لذا نرى ان الذين تعرضوا لهم بالقتل والتنكيل والملاحقة والاعدام في هذه الشعيرة بالذات-زيارة الاربعين- وعلى مر العصور ومراحل التاريخ لخير شاهد على عدائهم لاهل البيت وشيعتهم، فذاك المتوكل العباسي، وهذا صدام حسين، وهؤلاء الارهابيون الذين يفجرون ويقتلون الى غيرها من القضايا الاجرامية التي تفتك بمحبي الامام الحسين (عليه السلام)، لكن هؤلاء المجرمين الارهابيين لم يستطيعوا ولن يستطيعوا بكل ما اوتوا من قوة ان يثنوا عزيمة ذلك العشق والتطلع الى سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام)، بل الكل ينادي: يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزا عظيما، وبهذا فهم قصموا ظهر

الارهاب وكسروا شوكة المجرمين ولقنوهم دروسا لن ينساها التاريخ ولا الاجيال،﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾يونس/٦٢، يحدث هذا كله لابناء الطائفة الواحدة، اضف اليه التلاحم والتراص الذي يحصل في هذه الشعيرة بين السنة والشيعة، والعرب والاكراد، والمسيحيين والمسلمين، وبين الصابئة والشيعة ايضا، حتى وصل الحد اننا شاهدنا مواكب اخواننا اهل السنة، ومواكب مسيحية وكردية وصابئية وغيرها، اجتمعوا تحت راية الحسين ولأجل الحسين (عليه السلام)، وبهذا نكون قد تجاوزنا الفتنة الطائفية التي حاول اعداء الاسلام والانساتية ان يزرعوها بين فئات الشعب العراقي، اذ سعى وبكل ما يملك من قوة وامكانيات لجعلها ورقة رائجة ورابحة ينال من خلالها من وحدة هذا الشعب، (وقد مارسوا استخدام هذه الورقة في اوقات كثيرة وبلاد اسلامية كثيرة، فتمكنوا من احداث اختراقات كثيرة في الفكر والثقافة الاسلامية)[٥]، لكن زيارة الاربعين حطمت احلامهم جميعا فكانت مدعاة للوحدة بين صفوف الشعب العراقي .

٣- ابراز ظاهرة التكافل الاجتماعي بصورة جلية:

صار الامام الحسين (عليه السلام) قدوة فريدة في التاريخ الاسلامي خاصة والعالمي عامة، فقد (ضرب لنا ارقاما قياسية في كل الفضائل، ما جعل عامة المسلمين يعتزون بهذه النهضة الجبارة التي علمتهم دروسا في الاخلاق، ومؤتمرا يتفاهم فيه عامة البشر الذي رأى فكره (عليه السلام) من ناحية العقيدة والشعور الحي)[٦] .

ومن هذه الفضائل التي افرزتها هذه الثورة العرمرم ظاهرة التكافل الاجتماعي اثناء زيارة الاربعين، لا سيما عند المشاة، فهؤلاء زحفوا الى الزيارة المليونية تاركين الاموال والاوطان ، فاجتهد العراقيون في ان يكونوا الاهل والوطن والاموال، فقدموا لهم كل شيء بالمجان، فلم نسمع بأحد الزائرين بانه بقي بلا طعام ولا شراب ولا منام ولا الى أي شيء قد يفكر به ذلك الزائر، بل وصل الكرم والسخاء بهم ان قدموا للزائرين ما لم يعرفوه وياكلوه من الاطعمة في بلدانهم، قدمه لهم خدمة الحسين (عليه السلام)، مما حدا بأحدهم ان قال:(اننا في مسيرة الحسين (عليه السلام) يوم الاربعين وقبل ذلك وبعده كنا نأكل

ونشرب ونرتع بانواع النعم والخيرات ما لم يتيسر لنا مثلها في سائر ايام وشهور السنة)[٧] .

وقد جمعت الاموال من كافة ابناء الشعب من داخل العراق وخارجه وانشئت مؤسسات خدمية ترعى شؤون المؤمنين المعوزين في نفس هذه الايام من شهر صفر، وكذلك تقوم برعاية ايتام المؤمنين الذين استشهدوا في حوادث التفجيرات الارهابية اثناء الزيارة وكذلك ارسال مرضاهم الى المستشفيات لغرض العلاج داخل العراق وخارجه، وعلى امثال هؤلاء ينطبق مفهوم الحديث المروي عن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) الذي قال فيه:(أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)[٨] .

٤- افتخار المؤمنين بإنتمائهم الحسيني:

يقول الامام الحسن العسكري (عليه السلام):(علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٩]، فها هي(زيارة الاربعين تتجاوز حدود العراق في طريق تبلورها كأكبر مظاهرة مليونية لقطع اطول مسافة سيرا على الاقدام للتعبير عن التزام الامة الاسلامية كلها شيعة وسنة الى الامام الحسين واهل البيت عليهم السلام مقابل من التزموا طاعة الشيطان وآل ابي سفيان)[١٠] .

وسوف يظل هذا الشعور – شعور الافتخار بالإنتماء الى الحسين- يسري بدماء محبيه الى يوم القيامة ولسان حالهم يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ الاعراف / ٤٣؛ لأن مدرسة الامام الحسين (عليه السلام) قامت على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قام (عليه السلام) باصعب مهمة، فأداها بأبهى صورة وارفع مستوى؛ ليكون حيا خالدا في ضمائر الناس، وحجة على الاولين والآخرين، ففخر الكل يكمن في انتمائهم اليه، طالبين منه الشفاعة للنجاة من عذاب يوم القيامة وقضاء حوائجهم في الدنيا؛ مما حدا بهؤلاء الى القيام لهذه الاعمال التي تقربهم الى امامهم

كالبكاء واللطم المبرح، بل تعدى الامر الى الضرب بالسيوف على الرؤوس بل كل عمل يعتقدون به القربة الى الله معتبرين ذلك ترجمة لحب الحسين (عليه السلام) .

٥- تعميق روح التضامن بين الافراد الذين ينتمون الى طائفة معينة:

ان (الدين او العقيدة تؤدي دورا اساسيا في تحقيق التآزر والتضامن الاجتماعي بين ابناء الطائفة الواحدة)[١١]، فشيعة العراق –وعلى مدى التاريخ- صار تضامنهم عنوانا ومضرب الامثال للإخاء والتلاحم، على الرغم من وجود بعض الخلافات الجانبية بينهم، ومع ذلك نراهم يجتمعون في زيارة الاربعين تحت لواء سيد الشهداء (عليه السلام) وتحت منصته، متجاوزين كل العقبات، وكدليل على ذلك نشير الى ما حصل من خلافات في العام ١٣٤٨هـ في زيارة الاربعين بين النجفيين والكاظميين ثم بين النجفيين والكربلائيين وامتناع مواكب النجف عن الحضور في كربلاء كسيرتها الاولى، الامر الذي احدث شرخا كبيرا وانشقاقا لا يستهان به بين الاخوة المتجاورين والعتبتين المقدستين، وحدثت بينهما نفرة وجفوة، فما كان من المصلحين الا المبادرة والتدخل لحل هذا الخلاف، فقام العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء خطيبا فيهم، واستطاع بحنكته لم الشمل وتجاوز الازمة. وقد قامت مجلة العرفان بنقل هذه الحادثة في عددها الصادر في العام ١٣٥٠هـ في المجلد الثاني والعشرين[١٢]. ولو امعنا النظر بهذه الحادثة لوجدنا هؤلاء الاخوان قد استطاعوا تجاوز هذه الازمة بروح الشعور بوجوب التضامن بين افراد الطائفة الواحدة وضرورة تجاوز كل العقبات من اجل سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام) الذي ضحى بكل شيء من اجل المبادئ واجتماع الكلمة .

٦- اختفاء الفوارق والحواجز الطبيعية الاجتماعية بين مختلف الفئات:

وكما ان زيارة الاربعين تعبير عن رفض الظلم والقهر والاستكبار السياسي الذي لحق بالشعب العراقي من حكوماته المتعاقبة او الدول المستعمرة له كذلك فان لها بعدا آخر، اذ انها(تمثل مكسبا عظيما على صعيد الثقافة والاجتماع والتنمية للعالم الاسلامي بنحو عام وللعراق الذي يحتضن هذه الممارسة بنحو خاص، فضلا عن كونها رسالة عالمية تدعو لمد جسور التواصل بين الشعوب والثقافات ونشر قيم التسامح والمودة والسلام)[١٣]، وكذلك صارت مكانا لإختفاء كل الفوارق والحواجز الطبيعية والاجتماعية، ففقراء الناس واغنياؤهم يظهرون بلباس واحد، فالكل يرتدي السواد

حزنا على صاحب المصيبة، والكل يرتدي الملابس البسيطة مهما كان مستواه المعيشي، فالكل سواسية، الاغنياء والفقراء، يتبادلون المواقع من اجل خدمة الناس في المواكب، وكذلك في المسير لا تكاد تميز بين فقيرهم وغنيهم ، فالكل يقصد رضا امامه الحسين (عليه السلام)، وقد شاهدنا بأم اعيننا اغنياء البلد وهم يرتدون السواد ويقفون في وسط الطريق المؤدي الى كربلاء وهم يحاولون الامساك بالزوار من اجل ان يقدموا لهم الخدمات من اكل وراحة واستحمام وغيرها، وكم لاحظنا من حملة الشهادات العليا من اساتذة وهم يعملون المساجات والعلاجات الطبيعية للزوار المشاة طلبا للثواب دون أي ملل او كلل او توقف، وهذه الظاهرة تسمى في علم النفس بـ(نكران الذات)، فالكل نسي ذاته وانكرها حبا للحسين (عليه السلام)، والكل يخدم تقربا لآل الرسول(صلى الله عليه وآله)، وهذه الظاهرة لا نجدها على مدى العام كله وانما فقط في ايام الاربعينية، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان الكل قد انصهر وذاب في المجتمع، على الرغم من غناه، ونسى صاحب الشهادة شهادته وانصهر وذاب في حب سيد الشهداء(عليه السلام) وطلبا لرضاه .

٧- الشعور بالاخوة الايمانية الموالية:

يقول الامام علي (عليه السلام):(رب اخ لك لم تلده امك)[١٤]، (يشير الامام (عليه السلام) بهذه الكلمة الى الاخوة الايمانية والاخوة التكوينية بحيث ان هذا الاخ بكل ما تعنيه، الا انه لم تلده الام)[١٥] ، فأهل البيت عليهم السلام دائما يدعون اتباعهم عبر النصائح والارشادات الى المحافظة على العلاقات الاخوية وضرورة استمرارها، وقد جاءت بعض نصائحهم بضرورة الزام المؤمن الجانب الايجابي – أي مجموعة الاعمال التي يقوم بها المؤمن تجاه اخيه المؤمن يكون لها دور في بقاء الاخوة الايمانية واستمرار العلاقة الاخوية-، اما الارشادات الاخرى التي دعوا شيعتهم لها فتتمخض في ضرورة الامتناع عن بعض الاعمال التي تضر تلك العلاقة،(فنصح اهل البيت عليهم السلام المؤمنين بالتورع من الوقوع في هذه الامور السلبية التي تؤذي علاقة المؤمن بالمؤمن وتكدرها، ومن خلال ذلك العمل الايجابي الذي يؤكد هذه العلاقة ويُبقي المودة بينهما، ومن خلال التورع عن الوقوع في هذه الامور المؤذية لهذه العلاقة، يمكن للانسان ان يحافظ على هذه العلاقة ويستمر فيها)[١٦]. ولكي نفعّل هذه النصائح لابد من توفير جو ايماني وعلاقات دينية بحتة، وهذه الامور كلها توفرت في زيارة الاربعين، فالسائرون الى الامام الحسين (عليه السلام) يعيشون هذه

الاحاسيس بأعلى صورها واشكالها، إذ الحب والامن والامان والسلام وكلمات الاخوة المعبرة عن عمق القضية الايمانية في نفوسهم، فكلهم يجمعهم حب الحسين (عليه السلام) ومبادؤه فيتمثلون به ويبذلون جهودهم لأجل الانصياع لمبادئه والمبادئ الاخرى التي اوصى بها اهل بيت الرحمة عليهم السلام، وقد وردت عنهم عليهم السلام احاديث كثيرة اخرى تبين ضرورة شعور المؤمن بأخوته الايمانية للآخرين. من ذلك ما رواه جابر الجعفي قال: قال تنفست بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) ثم قلت : يا ابن رسول الله أهتم من غير مصيبة تصيبني أو أمر نزل بي حتى تعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي، قال : (نعم يا جابر . قلت : ومم ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : وما تصنع بذلك؟، قلت : أحب أن أعلمه . فقال : يا جابر إن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب تلك الأرواح في بلد من البلدان شئ حزنت عليه الأرواح لأنها منه)[١٧]، وقد أيد صحة هذا الحديث ما روي عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال:(شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا)[١٨]، وايضا ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي:(يا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة فمن أهان واحدا منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني ادخله الله نار جهنم وبئس المصير، يا علي أنت منى وانا منك روحك من روحي وطينتك من طينتي وشيعتك خلقوا من فاضل طينتنا فمن أحبهم فقد أحبنا ومن أبغضهم فقد أبغضنا ومن عاداهم فقد عادانا ومن ودهم فقد ودنا)[١٩] .

المطلب الثاني:

معاني العمل التطوعي في زيارة الاربعين:

توطئة:

من الركائز المهمة في بناء المجتمعات وبث روح التماسك الاجتماعي بين افراده هو العمل التطوعي؛ كونه ممارسة انسانية ارتبطت ارتباطا وثيقا بكل معاني الخير والصلاح، ليس في مجتمع من المجتمعات، بل صار شعارا عند كل المجموعات البشرية منذ الخليقة الى يومنا هذا، لكن الاختلاف وقع في حجمه وشكله ودوافعه واتجاهاته من مجتمع الى آخر، بل من فترة الى اخرى، فعظم وازداد في المجتمعات التي تمتلك دساتيرا الهية غير

محرفة ولا مزيفة، وقل في المجتمعات التي انحرفت عن الخط الالهي، كذلك هو قليل في مجتمعات حل فيها الامن والاستقرار والهدوء، وازداد في مجتمعات حلت بها الكوارث والحروب والنكبات، وبهذا نستطيع القول: ان زيارة الاربعين قد فرضت على البلد ظروفا استثنائية نجم عنها بروز العمل التطوعي بصورة لم يسبق لها مثيل، وهذا ما اضاف الى الزيارة عينها قدرا عظيما من الاجلال والاكبار بسبب اسهاماتها الحضارية والانسانية الجادة .

أولا: تعريف العمل التطوعي:

لغة: التطوع مأخوذ من الفعل(طوع)، وهو ما تبرع به الفرد من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه[٢٠] .

إصطلاحا:(وهو عمل اجتماعي ارادي غير ربحي دون مقابل او اجر مادي يقوم به الافراد والجماعات من اجل تحقيق مصالح مشتركة او مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم او المجتمعات البشرية بصفة مطلقة، سواء كان هذا الجهد مبذولا بالنفس او المال)[٢١].

اما تعريفه من منظور الامم المتحدة فقد عرّف بأنه:(عمل غير ربحي، لا يقدم نظير اجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الافراد من اجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الاخرين من جيرانهم او المجتمعات البشرية بصفة مطلقة)[٢٢] .

وعليه فان مفهوم التطوع: يرادف أي نشاط او جهد يبذله الفرد دون انتظار عائد مادي؛ لذلك فان الشباب الحسيني عندما يمارس الاعمال التطوعية فهو يضحي بالوقت والجهد والمال من اجل شفاعة الامام الحسين (عليه السلام) ولأجل زوار الحسين دون انتظار أي عائد مادي مباشر .

وقد اقترن مفهوم ثقافة التطوع هنا بمفهوم العمل التطوعي؛ لأننا اذا اردنا تعريف تلك الثقافة نشيرالى انها(منظومة القيم والمبادئ والاخلاقيات والمعايير والرموز التي تحض على المبادرة بعمل الخير الذي يتعدى نفعه الى الغير، اما بدرء مفسدة او بجلب منفعة تطوعا من غير الزام ودون اكراه)[٢٣] .

وقد اهتمت الدول المتقدمة بنشر ثقافة العمل التطوعي بدرجة كبيرة بين افراد مجتمعاتها؛ وذلك لإدراكها اهميته في بناء الروابط الوثيقة وتعزيز الانتماء واثبات الذات

في بناء العلاقات الاجتماعية في تلك المجتمعات، وقد وضعوا النظريات النفسية والاجتماعية في تفسير اعمال التطوع، منها:

١- الرؤية الفرويدية .
٢- نظرية التفاعل الاجتماعي .
٣- نظرية التعلم الاجتماعي او الرؤية المعرفية السلوكية .
٤- الرؤية الاريكسونية للتطوع .
٥- الرؤية الانسانية لروجرد ماسلو .
٦- نظريات الشخصية .
٧- نظرية العدالة الاجتماعية[٢٤] .
٨- **نظرية التبادل الاجتماعي:** وهذه النظرية هي اهم النظريات؛ كونها تتناسب مع موضوع دراستنا، وهذه النظرية تقول:(ان الناس لا يقدمون على مساعدة الآخرين الا في حالة اعتقادهم بأن الربح الذي يحصلون عليه من المساعدة المقدمة اكبر من التكلفة المبذولة، فالنظرية المذكورة لا تعتقد بوجود ايثار حقيقي يصدر عن شخص ما على حساب مصلحته الشخصية، فمساعدة الآخرين تاتي- فقط – في حالة توقعهم الحصول على نفع اكبر من الجهد المبذول)[٢٥]. وفي معرض الرد على اصحاب هذه النظرية نقول: اذا كنتم تعتقدون ان راء كل ما يقدمه الاشخاص هي مصالح شخصية فبماذا تفسرون ما يقوم به بعض الناس من تقديم حياتهم من اجل الآخرين، فما هو(الربح الذي يمكن تعويضه من الآخرين بعد ان يفقد الانسان حياته؟ وهل التثمين الذي سوف يحصل عليه من الناس ينفعه بعد موته؟ او هو اغلى ثمن من الحياة؟)[٢٦].

ان التصور الاسلامي يؤكد على ان الانسان جُبل على حب الخير فطريا، وهذا ما اكد عليه قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾الروم/٣٠، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾الحشر/٩، وهذه الآيات وغيرها اكبر دليل على بطلان ما ذهبوا اليه من انكار للسلوك الايثاري الخالص،(فسلوك هذا الجمهور العريض دليل ناصع على وجوده، فهو سلوك إيثاري محض لا يضع في حسبانه

مطلقا مبادئ الربح والخسارة)[٢٧]، ونحن شخصيا نعرض تجربتنا مع هؤلاء الزوار الغرباء ونرحب بهم ونتعامل معهم ولا نعرفهم، امثال الزوار الايرانيين، فإن حجم الانفاق المبذول من قبلنا لا ينسجم ابدا مع الربح المتوقع، حتى لو تخيلنا وجود تطلع للتبادل النفعي حسب ما تقرره النظرية، وبالتالي فنحن نأمل ونتطلع مما قدمناه ونقدمه الى الربح والجزاء الاخروي ونيل الشفاعة من الامام الحسين(عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾الانبياء/٢٨، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾الشعراء/٨٨-٨٩ .

وكل هذه النظريات – عدا الرؤية الفرويدية – تعتبر العمل التطوعي ظاهرة حضارية للنهوض بالمجتمعات والابتعاد عن كل ما هو اناني، فهذه الاعمال تسهم في زيادة المودة والاحترام وتقوية اواصر المحبة في المجتمعات البشرية؛ لأن منافعه عامة وليست فردية، علما ان هذه الاعمال التطوعية لا يمكنها ان تنجح دون تفاعل المجتمع معها والمشاركة فيها، بل وتشجيع القائمين عليها، وهذا كله يستدعي تعميم ونشر (ثقافة العمل التطوعي) في البيئة الاجتماعية، بل المشاركة فيه. ويمكننا ان نقف على اهم انواع المشاركة في الاعمال التطوعية فيما يأتي:

١- المشاركة المعنوية: هي عبارة عن دعم المشاريع التطوعية معنويا من خلال الوقوف المعنوي مع المشروع الخيري، سواء بالتشجيع او الدفاع عنه او التعريف به في المحافل العامة .

٢- المشاركة المادية: هي عبارة عن دعم المشاريع الخيرية بالمال؛ بإعتباره يمثل احد المقومات الداعية الى نجاح أي عمل خيري، وقد سمى القرآن الكريم هذا النوع من المشاركة بالجهاد، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾الحجرات/١٥ .

٣- المشاركة العضوية: هي عبارة عن كون الاشخاص اعضاء فعالين في الاعمال التطوعية عبر انتسابهم لإحدى مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وهذا النوع من

المشاركة يتطلب بذل الجهد والتضحية بالوقت وإعمال الفكر لأجل الوصول الى اعلى المراتب في خدمة المجتمع(٢٨) .

٤- وبتظافر هذه الانواع الثلاثة يكتب لاي عمل تطوعي النجاح، وفي زيارة الاربعين نجد ان هذه الالوان الثلاثة قد تظافرت واجتمعت وآتت أكلها، وهذا ما زاد هذه الشعيرة قدرا عظيما من التقدير والاكبار، بل سبّب هذا العدد الهائل من المتطوعين دهشة العالم واستغرابه ليقف مذهولا ويتساءل: كيف تسنى لهؤلاء جميعا ان يأتوا في آن واحد دون اشارة او قرار او موعد مسبق .

ثانيا: العمل التطوعي في الثقافة الاسلامية:

قد يتساءل البعض: هل ورد مصطلح التطوع في المصادر الاسلامية كالقرآن والسنة؟، والجواب انه نعم قد ورد في اماكن متعددة، ففي القرآن الكريم ورد هذا المصطلح في قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة/ ١٥٨ ،فقد ورد في تفسيرها:(ان الله يشكر عباده المتطوعين للخير بان يجازيهم خيرا)(٢٩)،وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾المائدة/ ٤٨ ، فهذه الآية الكريمة تدو المسلمين الى(التسابق في فعل الخيرات بدل تبذير الطاقات)(٣٠) .

وعليه فقد اسس القرآن الكريم لمفهوم العمل التطوعي في نفوس المسلمين؛ كونه دين يحمل في طياته روح الاختيار، وهذا شامل لكل العبادات والمعاملات ومساعدة الآخرين.

اما السنة النبوية وسنة اهل البيت عليهم السلام فقد طفحت بما دلت عليه في موضوع التطوع، فاذا اخذنا مثلا قول النبي صلى الله عليه وآله:(المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)(٣١).

وقد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله:(المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى)[٣٢] ، وكذلك ما روي عن الامام الصادق (عليه السلام) عندما سأله المعلى بن خنيس عن حق المؤمن على اخيه المؤمن، فأجابه (عليه السلام) بكلام طويل، من ضمنه انه قال:(وإن كانت له حاجة تبادر مبادرة إلى قضائها ، ولا تكلفه أن يسألكها)[٣٣] ، واحاديث اخرى كثيرة دعت الى ترسيخ ثقافة العمل التطوعي في المجتمع المسلم وباساليب مختلفة، داعية الى بناء المجتمع المسلم على اسس من المحبة والاخاء والتعاطف والتواصل والتراحم ونبذ روح الفرقة والتكافل والتضامن، حتى يكون المسلمون المؤمنون جسدا واحدا، ورغم كل هذه الدعاوى الا ان اغلب الدول العربية عزفت عن هذا المشروع الانساني الاسلامي؛ والسبب يعود الى تخلي الحكومات العربية عن دورها الريادي في هذه المجالات .

ثالثا: عوامل نشاة العمل التطوعي واهدافه وسماته:

أ- متى نشأ العمل التطوعي للوجود؟:

ان العمل التطوعي كان موجودا في كل المجتمعات الانسانية وعلى مر التاريخ البشري، فقد فطر الانسان على حب الخير منذ ان وطأت قدمه الارض، وجاء الدين والشريعة ليقويا هذا الشعور عند الانسان، فقد ارتبط – أي الشعور- ارتباطا وثيقا بكل معاني الخير والعمل الصالح عند المجموعات البشرية منذ الازل، وكان ولا زال – كعمل خيري- وسيلة للشعور بالاعتزاز وراحة النفس البشرية المجبولة على حب الخير؛ لذا صار فعالية تقوّي عند الافراد والجماعات الرغبة بالحياة، بل يزيد الثقة بالنفس، بل بالحياة جميعها طمعا في مستقبل واعد، حتى وصل الحد ان بعض الاطباء وصفوا لمرضاهم المصابين بالاكتئاب والضيق النفسي والملل المشاركة بالاعمال التطوعية، الغرض منها تجاوز المحن النفسية التي يعانون منها والتسامي نحو الخير الذي يمس محيط الشخص وعلاقاته، فيشعر باهميته ودوره في تقدم المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا بدوره يعطيه امل جديد لحياة سعيدة . وعلى مر الزمن يزداد العمل التطوعي في الظروف العسيرة التي تمر بها الارض وتقل في الحالات الاعتيادية، وقد ظهر – نتيجة لذلك – شكلان من اشكال العمل التطوعي هما:

الشكل الاول: السلوك التطوعي الذي هو عبارة عن (مجموعة التصرفات التي يمارسها الفرد وتنطبق عليها شروط العمل التطوعي، ولكنها تاتي استجابة لظرف طارئ او لموقف انساني او اخلاقي محدد)[٣٤]، ومثاله: عند حدوث عمل ارهابي- وما اكثر الاعمال الارهابية في بلدنا العراق – نجد ان كل الناس الموجودين في مكان الحادث يهرعون – وبدون نداء احد او استنجاده – الى المشاركة في انقاذ الجرحى واسعافهم وتطبيبهم، ونقلهم الى اقرب مشفى، وتصرفهم هذا ونخوتهم ناتجة عن غايات انسانية نبيلة صرفة، اما اخلاقية او اجتماعية او دينية، وهو بدوره لا يتوقع اية منفعة جراء ذلك العمل، وهذا دليل آخر على بطلان نظرية التبادل الاجتماعي .

الشكل الثاني: ويشمل الفعل التطوعي (الذي لا يأتي استجابة لظرف طارئ، بل يأتي نتيجة تدبر وتفكر، مثاله الايمان بفكرة تنظيم الاسرة وحقوق الاطفال بأسرة مستقرة وآمنة، فهذا الشكل يتطوع للحديث عن فكرته في كل مجال وكل جلسة، ولا ينتظر اعلان محاضرة ليقول رأيه بذلك)[٣٥] .

ب- ما هي اهداف العمل التطوعي؟:

لكل عمل في هذه الدنيا اهداف بقدر ذلك العمل، فأصحاب الاعمال العظيمة تكون اهدافهم نبيلة عظيمة وسامية، بينما اصحاب الاعمال الوضيعة تكون اهدافهم وضيعة ودنيئة، يطمعون من خلالها للوصول الى مآرب دنيوية لا قيمة لها. اما العمل التطوعي فهو من الاعمال النبيلة التي يكون هدفها إسعاد الآخرين وإدخال السرور في قلوبهم، وان من يقوم بها فإنه يضحي بوقته وماله وراحته طائعا غير مكره، وبهذا يسمو عمله وتسمو اهدافه. اما اهم اهدافه فهي:

١- تنمية روح الانتماء لدى افراد المجتمع، لا سيما شريحة الشباب منهم، اذ يشعرون بنشوة الانتماء والولاء لأفراد جنسهم من خلال المشاركة الفعلية معهم في افراحهم واتراحهم .

٢- اثارة الحوافز الايجابية لدى المتطوعين، اذ ان المتطوع – واثناء تادية عمله التطوعي- سوف يعتاد على رفع مستوى الاداء والسرعة والانجاز، وهذا ما سيؤدي الى زيادة معدل انتاجية عمله في المستقبل .

٣- العمل التطوعي يعد مجالا خصبا لممارسة حرية الاختيار، فالشخص الذي يقوم بالعمل التطوعي الذي يتناسب مع ميوله وأهواءه يكون مختارا وليس مجبورا على الاختيار .

٤- تنظيم اوقات الفراغ: ان وجود اوقات الفراغ في حياتنا يعد امرا قاتلا قد يتطور مستقبلا ليشكل عقدة نفسية او مرضا لا سمح الله، لكن العمل التطوعي سوف يعوّد الانسان على ملئ فراغه بما هو مفيد ونافع، ليس له فحسب، بل لصالح المجتمع الذي ينتمي اليه، وبهذا سوف يصبح لديه فضاءا رحبا، ليمارس – هذا الانسان – ولاءه وانتماءه لوطنه.

٥- من خلال الاعمال التطوعية يكتسب الانسان صحبة اجتماعية، ليزيد رصيده من الاصدقاء والمعارف الذين سيأخذ منهم ويأخذون منه .

٦- يستطيع الانسان بواسطته التغلب على الأنا وتجنب القضايا الشخصية غير المرغوب بها عن الذات .

٧- تعزيز الذات: اذ ان المتطوع يقدم على تقدير ذاته والتعرف على مقدراته ومواهبه التي تعزز ثقته بنفسه الى الدرجة التي قد يبدع في عمله الذي وكل اليه او يكون متميزا فيه.

٨- الحصول على الخبرات او التعرف على صنعة اخرى قد يمارسها مستقبلا تساعده على الالتحاق بسوق العمل من خلال تطوير سيرته الذاتية .

٩- سوف يسعى المتطوع الى بناء فهم افضل عن العالم الذي يعيش فيه؛ وذلك من خلال اختلاطه بنماذج واناس من غير بلده، وهذا الهدف وارد جدا في الزيارة الاربعينية، فقد تعرفنا على اخلاق وعادات وتقاليد الشعوب من خلال هذه الزيارة المباركة، واكتسبنا خبرات لم نكن نعرفها من قبل .

١٠- اهداف اخروية: وهذه الاهداف تعتمد على اعتقاد الانسان، فهناك من يمتلك الدين، وهو ممن يؤمن بالله وبالثواب الاخروي، بينما نجد من لا دين له لا يؤمن بذلك، فهذا هدفه انساني بحت؛ لأن النفس البشرية مجبولة على حب الخير ومزودة بمعرفته فطريا .

هذه اهم الاهداف التي يسعى الى تحقيقها المشاركون في الاعمال التطوعية، مع انهم قد تكون لهم اهداف اخرى - قد تكون شخصية بحتة- ونحن غفلنا عنها .

ومع كل هذا السمو وهذه الرفعة اللتان يهدف اليهما العمل التطوعي، لكننا لم نجد في بلانا – وللاسف الشديد – من يقوم بهذه الاعمال التطوعية، عدا ما يحدث في زيارة الاربعين، اذ يفترض منا – كمسلمين – القيام بها مثلما كان المسلمون في القرون الاولى اسبق الناس للاعمال الخيرية والتطوعية، بل لم نكتف بهذا فقمنا بالتشنيع والتشكيك بمن يقومون بها وزرع روح الاحباط واليأس في المحيط الاجتماعي، وهذا ما سيسهم في تاخير مسيرة هذه الاعمال التطوعية .

ج- ما هي سمات العمل التطوعي؟:

يتميز العمل التطوعي عن باقي الاعمال بأن له سمات نبيلة يمكن الوقوف على اهمها:

١- الغائية: فالمتطوع يسعى الى تحقيق غاية جليلة .

٢- الايثار: المتطوع يؤثر الآخرين على نفسه دائما، فنراه يضحي بوقته وجهده وماله واحيانا بخبرته دون ان ينتظر عائدا ماديا يوازي حجم التضحية المبذولة .

٣- الطوعية: فهو عمل قائم على الفعل الارادي الحر للفرد .

٤- الاستقلالية: بما ان الفرد يعمل بعيدا عن تدخل الدولة او المؤسسات الاخرى غير الحكومية، فعمله هذا يتمتع بالاستقلالية بحيث يصبح قادرا على تنظيم شؤونه بمفرده .

٥- الالتزام الاخلاقي والسلوكي: العمل التطوعي التزام اخلاقي من الفرد تجاه مجتمعه او المجموعة البشرية التي ينتمي اليها وبأعلى الدرجات[٣٦] .

د- انعكاسات العمل التطوعي:

للعمل التطوعي انعكاسات جليلة لا تقل اهمية عن انعكاسات العمل الرسمي، لا سيما في الدول المتقدمة، ويترتب على اسهامات المتطوعين مكاسب:

اولا: مكاسب اقتصادية:

للعمل التطوعي مكاسب اقتصادية لصالح البلدان التي يوجد فيها هكذا نوع من الاعمال، اذ ان هؤلاء المتطوعين لا يتقاضون اجورا على ما يقدمونه، رغم ان ما

يقدمونه جليل ويستحق التبجيل، فهم يقومون بأعمال تطوعية، كمساعدة العجزة وكبار السن، وكذلك تقديم المحاضرات والاشراف على الدراسات العليا في الجامعات العالمية المشهورة، وهذا كله تطوعا دون مقابل، فلك ان تتصور لو ان هؤلاء يتقاضون اجورا على ذلك فكم ستكلف الدولة من اموال، لا سيما وان اعدادهم بالالاف، وهذا الشعور نابع من شعورهم بالمواطنة، وغرضهم ان تتقدم بلدانهم، وهذا الشعور للاسف الشديد يفتقر اليه العراقيون – باستثناء زيارة الاربعين – فالكل قد نسي تاريخ ومجد امته، ونسي ماضي الامة كيف كانت وكيف اصبحت اليوم ، واذا كنا قد نسينا مجد امتنا فلنا في الشعب الالماني اسوة حسنة كما يقول مالك بن نبي الذي ذكّر الامة بماضيها التليد في هذا المجال، وكيف ان عليها ان تستغل الوقت والزمن؛ لانه اذا ذهب لا يعود، فيتحدث عن الزمن واصفا اياه بانه(نهر صامت، حتى اننا ننساه احيانا وننسى الحضارات في ساعات الغفلة او نشوة الحظ وقيمته التي لا تعوض[٣٧]،

ثم لينعى على الامة عدم اهتمامها بالوقت قياسا للشعوب المتحضرة فيقول:(وحظ الشعب العربي الاسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر، ولكن ..... عنما يدق الناقوس مناديا الرجال والنساء والاطفال الى مجالات العمل في البلاد المتحضرة ..... اين يذهب الشعب الاسلامي؟ تلك هي المسالة المؤلمة....فنحن في العالم الاسلامي نعرف شيئا يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذي ينتهي الى عدم؛ لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية؛ لأننا لا ندرك قيمة أجزاءه من ساعة او دقيقة، ولسنا نعرف الى الآن فكرة الزمن)[٣٨] .

واخيرا ينقل لنا تجربة الشعب الالماني الذي اعاد بناء دولته بعد الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي خلفت وراءها المانيا عام ١٩٤٥ قاعا صفصفا، استطاع شعبها وخلال مدة وجيزة ان يعيد بناء دولته بأعمال تطوعية،(فقد فرضت الحكومة عام ١٩٤٨ على الشعب الالماني، نساء واطفالا ورجالا التطوع يوميا ساعتين، يؤديها كل فرد على عمله اليومي وبالمجان؛ من اجل الصالح العام فقط.... وقد عادت الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشعب لم يبق لديه من الوسائل اثر الحرب الثانية الا العناصر الثلاثة: الانسان والتراب والزمن)[٣٩] .

وعليه فإن استيحاء امثال تلك التجارب الانسانية الناجحة سوف يبعث الحياة في شعوبنا الاسلامية؛ لأجل تنمية السلوك التطوعي لديهم، وبهذا يكون للعمل التطوعي اليد الطولى في حل المشكلات الاقتصادية .

ثانيا: مكاسب اجتماعية:

واذا نظرنا الى المكاسب الاجتماعية التي تحققها الاعمال التطوعية، نجدها تفوق المكاسب المادية؛ لأنها تسهم في تعزيز الشعوب بالمسؤولية الاجتماعية وتنبذ السلوك اللا ابالي او ما يدعى بالاغتراب داخل الوطن، فنجده يحقق المكاسب التالية:

أ- إشاعة روح التعاون والتعاطف بين افراد المجتمع .

ب- تنمية الشعور بالآخر(الغيرة أو ما يسمى " الايثار") .

ج- الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع الذي ينتمي اليه .

د- اشغال اوقات الفراغ بما لا يدع مجالا للاشخاص بالتفكير بالمشاكل الاخرى؛ لأن الدراسات اثبتت ان الانسان العاطل سوف يكون لديه استعداد للمشاكل الاسرية، مثل الطلاق والعنف الاسري وازدراء الآخرين، وفي حياتنا امثلة كثيرة على ذلك، فنجد في محيطاتنا العائلية نماذج لرجال عاطلين عن العمل تسببوا بمشاكل مع أسرهم جميعا .

وفي مجتمعاتنا العربية والاسلامية لا يوجد اهتمام من قبل الدولة بهؤلاء العاطلين، بينما في الدول الغربية يختلف الامر تماما، فهذه الدول لديها مشاريع متعددة تستقطب هؤلاء بغية اسهامهم في العمل تحقيقا لمصلحتهم ومصلحة الدولة، وتسمى هذه المشاريع بـ (إعادة الادماج)، اذ ان هذه الدول تنفق اموالا طائلة على تلكم المشاريع والبرامج ؛ كونها تسهم في تخليص مجتمعاتهم من المشاكل .

ثالثا: مكاسب صحية:

ان اكثر الامراض التي تصيب الناس العاطلين عن العمل سببها الحالة النفسية التي يمرون بها، فالعمل التطوعي – بما فيه من حركات – يكون سببا لتوفر الصحة الجسمية، كون العمل احد مصاديق الحركة ومؤشر قوي على ايجاد الحيوية والنشاط؛ لأن جسم الانسان فيه طاقات كثيرة فائضة لا يمكن التخلص منها الا بالعمل، أضف الى ان التخلص من الاملاح الزائدة والسكريات المضرة للجسم لا يكون الا بالحركة بغية تجنب

الاصابة بأمراض كثيرة، منها: انسداد الاوعية وتصلب الشرايين، وتعطل بعض الغدد الهامة عن اداء وظيفتها بصورة صحيحة.

اما تأثير العمل على النشاطات الذهنية فحدث ولا حرج، فالتفكير الذي يصاحب العمل له تأثير على محافظة الدماغ على حيويته؛ كون الدماغ عضلة قابلة للاصابة بالخمول نتيجة عدم استخدامها، وصدق رسول الله(ﷺ) إذ يقول:(ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد.....)[٤٠]، اما تأثير العمل على نفسية الانسان فهذا ايضا مما اثير في موضوع العمل التطوعي، إذ ان العمل يمنح الثقة بالنفس من خلال اتقان صنعة ما او من خلال التواصل الاجتماعي مع الآخرين، فصار العمل التطوعي احد الاسباب التي من خلالها يمكن القضاء على الشعور بالوحدة والكآبة والخوف من المستقبل، وغيرها من الامراض النفسية الاجتماعية.

زيارة الاربعين والعمل التطوعي:

قال الامام الحسن العسكري(عليه السلام):(علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٤١]، وهذا الحديث له مداليل كثيرة اهمها: ان من زار الامام الحسين(عليه السلام) يوم الاربعين عد من المؤمنين؛ لما لهذه الزيارة من أثر رئيس في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت(عليهم السلام)، فهي عبارة عن تجمع حاشد لملايين من المعزين تطرح نفسها كعقل اجتماعي لا يمكن تجاوزه، فهي(تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمن التكنولوجيا والثورات الاعلامية المتواصلة بدت مشاهد الزيارة الاربعينية متلألئة في القنوات الفضائية التي تنقل المشاهد المؤثرة لتضع المشاهد ومن جميع اطياف المجتمع امام تساؤل كبير وهو: ما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الاصرار نحو قبلة الاحرار والثائرين؟، فيأتي الجواب مدويا: انه الحسين(عليه السلام) وعظمة التضحية التي قدمها)[٤٢]، وقد نالت هذه الزيارة اهتمام كل المسؤولين في انحاء المعمورة، فقد (ذكرت بعض المصادر ان مسؤول القوات المسلحة في الشرق الاوسط للإدارة الامريكية كان يراقب هذه الظاهرة الحسينية عبر الاقمار الصناعية لمدة اسبوعين او اكثر وبشكل مباشر، وبعدها قال: انا اعترف انتم الشيعة اكثر تحضرا بالمقايسة مع الاحداث التي تقع في نيويورك او باريس)[٤٣]، كذلك يقال: ان

جريدة القبس الكويتية نقلت في عددها الصادر يوم ٢٠١٣/١٢/١٥ ما يلي:(شارك عدد من اعضاء وفد الفاتيكان الذي يزور العراق في مسيرة على الاقدام امس تتوجه من الناصرية الى كربلاء احياءا لذكرى اربعين الامام الحسين(عليه السلام) وسار الوفد برئاسة المونسيور ليربيريو اندرياتا رئيس مؤسسة الحج التابعة للفاتيكان بنحو كيلو متر برفقة رجال دين مسيحيين عراقيين الى جانب الزوار الشيعة من الناصرية حيث يقيمون)[٤٤]، وكل هذا وامثاله الكثير والذي احجمنا عن ذكره؛ لدليل على ان هذه الزيارة المليونية قد اخافت هؤلاء بزحفها المليوني وجعلتهم يبدون اعجابهم بهذه الجموع المليونية ضامرين في قلوبهم حنقهم على هذا الدين وهذا المذهب بالذات، متغافلين عن ان هذه الزيارة هي برعاية ربانية وادارة الهية،لأنه تعالى قال: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ ابراهيم/٣٧، واذا كنا نفخر بهذه الجموع المليونية الذاهبة الى كربلاء الحسين فلنا ان نفخر بهذا المشروع الجماهيري الذي لا نظير له في حقل الممارسة والتشجيع على العمل التطوعي؛ اذ ان هذا الزحف المليوني بحاجة لخدمة طعام وشراب، فمن يا ترى يوفر لهم هذا ماديا وخدميا؟، وللجواب على هذا السؤال نقول: ان في هذا الموسم يتوفر مئات الآلاف من المتطوعين يتوزعون على عشرات الآلاف من الفرق والهيئات الميدانية او ما يصطلح عليه في ثقافة الزيارة بـ (المواكب) على كافة الطرق المؤدية الى كربلاء، بل ومن كافة الحدود العراقية ،لا سيما الطرق التي تربط محافظات جنوب العراق بكربلاء المقدسة والذي يجب ان يسمى بـ (طريق النخوة العراقية)[٤٥]، وفي هذا الطريق لا يمكن احصاء ما يقوم به المتطوعون من نشاطات مختلفة، وقد علمنا ان هؤلاء المتطوعين اقاموا مأدبة- وتسمى سفرة:جمع سُفَر: عبارة عن طعام المسافر ما يُبسط عليه الاكل[٤٦]- على طول الطريق الرابط بين محافظة البصرة ومحافظة المثنى، وقد دخلت في موسوعة غينيتس العالمية، وكذلك أدخلت هذه الموسوعة زيارة الاربعين فيها؛ باعتبارها اكبر تجمع بشري مليوني تلقائي عفوي، لم يتدخل احد في الدعوة لها او ادعى تنظيمها ولا موعد مسبق لتجمعها وانما جمعهم ويجمعهم حب الحسين(عليه السلام) في كل موسم ولهدف واحد هو الزيارة واعلان مظلوميته لكل العالم، وقد تجسدت هذه الزيارة بأنها(زيارة للشهامة والاخلاص والتضحية والدين ولكل فضيلة عرفها الانسان؛ لأن الفضيلة تجسدت في الحسين كأنبل ما يمكن ان تتجسد في

شخص)[٤٧]، انها منهل ومغنم لكل معاني التضحية والايثار والنبل عبر ذلك التاريخ المقدس والذكريات المقدسة لأبي الاحرار(عليه السلام).

ان هؤلاء المتطوعين بذلوا جهودا مضنية وكبيرة، ولا نبالغ ان وصفناهم بهذا الوصف الواقعي، فهؤلاء ابناء البصرة – مدينة واحدة من مدن العراق- ضربوا اروع مثال في البذل ووصفوا مواكبهم فقالوا:(ان مواكبنا كالبدو الرّحل تشد رحالها مع حركة الزائرين.... ولهم الف موكب حسيني لمسافة تتجاوز (٥٠٠) كيلو متر، وتلك خاصية تميزت بها محافظة البصرة دون غيرها)[٤٨]، وهذا المثل الرائع ليس فيه ادنى مبالغة اذا قارناه بامثلة اخرى وقصص كثيرة يقف الفرد امامها مبهورا، ولابد لنا ان نسرد بعض تلك القصص النبيلة التي تكشف مدى حجم التضحية والبذل:

١- يروي صاحب موكب(حامي الشريعة) عن ما يحدث في مواكب الزائرين في البصرة- وهذا ما امتازت به المواكب البصرية بالذات- يقول: (حينما ينتهي عمل المواكب الحسينية في جميع المحافظات المتوجهة الى كربلاء حال توقف سير الزائرين، بينما تشد مواكب البصرة رحالها وتنتقل بعد السابع من شهر صفر من البصرة وحسب حركة الزائرين الى محافظات: ذي قار والسماوة والديوانية والنجف وبابل الى اطراف كربلاء، وهذه المواكب نحو الف موكب ينتقل بكامل عدته وعدده من الخيم والكراسي وادوات الطبخ والمستلزمات الكهربائية والمؤونة والفرش مع الزائرين لتنصب خيامها على مسافات ابعد من مسيرهم لتستقبلهم مرة اخرى وتقدم لهم الطعام والشراب والمبيت والدواء وتهيئة امكنة الصلاة والعبادة في جو من الممارسة الخدمية لا يوجد نظيرها في العالم، اذ يجند الآلاف انفسهم لخدمة ملايين من الناس يسيرون نحو محافظة كربلاء ليس بينهم أي معرفة سابقة الا حب الحسين والانتصار لقضيته العالمية العادلة)[٤٩] .

٢- في احد المواكب يتجمع عدد كبير من الصبية تتراوح اعمارهم بين ٨-١٤ سنة، وعند السؤال عن وجودهم قال احدهم:(اننا مجموعة من الاقارب والاصدقاء اتفقنا على ان ننفذ عملا واحدا هو تنظيف واجهة الموكب والمواكب المجاورة والشارع العام، مبينا ان هدف الامام الحسين(عليه السلام) وثورته العظيمة هو الاصلاح، والنظافة تعكس تحضر الشعوب وتطورها)[٥٠] .

٣- ونجد هناك مجموعة اخرى اختصت بعمل المساج والتدليك باسلوب متطور، يقول احد هؤلاء:(دربنا مجموعة من الخدام على عمليات التدليك والمساج للاقدام والارجل وعلى استخدام مجموعة من المراهم الخاصة بفك التشنجات ومعالجة الاوردة والشرايين ومنها زيت الزيتون والرومالجين، ونحن في خدمتنا نركز على كبار السن والاطفال والصبيان؛ كونهم يحتاجون الى خدمة خاصة لفضاضة اجسامهم وضعف ابدانهم، لان العاملين استندوا لنصائح طبية من اطباء ومعالجين مختصين)[٥١] .

٤- ينقل الكاتب فرج الحطاب- الذي سار مشيا على الاقدام مع زوار الاربعينية معايشا اياهم لاكمال رسالته الماجستير التي بعنوان" تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث" طقوس زيارة الاربعين"- يقول: عند وصولنا الى منطقة حي الكرامة في النجف الاشرف أمسك بي احد الشباب قائلا: تفضل معي انت وجماعتك لنخدمكم هذه الليلة، وقد اشار علي احد مرافقيي بأن استجيب لدعوته ففعلت، وعند وصولنا الى منزله كان بإستقبالنا والده قائلا:(اهلا بزوار ابي عبد الله، اهلا بزوار الحسين) واعتذر منا قائلا: اعذروني لأن سخان الماء لا يعمل بسبب انقطاع التيار الكهربائي، لكننا سنسخن الماء لكم بواسطة طباخ الغاز كي تستحموا، ثم طلب منا ان نخلع جواربنا كي يغسلها بنفسه؛ معللا ذلك (بانه سيزداد شرفا بغسل جوارب زوار الحسين(عليه السلام) وان عمله هذا لا يساوي شيئا امام الاقدام التي ستواصل مشيها المبارك لتزور قبر الحسين(عليه السلام)، ثم قدموا لنا العشاء والشاي والسكائر) وقد نقل الكاتب هذه القصة مطولة لكننا اختصرنا تجنبا للاطالة، والكاتب في دهشة لما يحصل في هذه المسيرة، ثم ينقل قصصا اخرى يقف امامها مذهولا لم يصدق ما شاهده معلنا ان ما حصل له لو انه روي له من قبل احد الناس لم يصدقه؛ لانه لا يوجد شعب يقدم مثلما قدمه الشعب العراقي الغيور)[٥٢] .

هذه بعض من قصص الشهامة العراقية او طريق النخوة العراقية؛ مما حدا ببعض الاجانب التمثل بالعراقيين وانشاء المواكب الحسينية، فقد نقلت مجلة النبأ في عددها الصادر في محرم ١٤٣٢هـ:(قامت مجموعة من الصينيين العاملين في احدى شركات

التسوق في مدينة الناصرية(٣٠٠) كيلو متر جنوب كربلاء المقدسة بتقديم الخدمات للزائرين الكرام الى مرقد سيد الشهداء..... وصرح السيد ليون أحد العاملين في شركة التسوق الصينية(NEN): قررنا المشاركة مع اهالي الناصرية لخدمة زوار الحسين(عليه السلام) وتقديم الطعام والشراب لهم من خلال نصب موكب خاص بنا كصينيين)[٥٣]، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان ثورة وزيارة الامام الحسين(عليه السلام) قد استقطبت حتى غير المسلمين وجعلتهم يسيرون في ركبه، بالاضافة الى ان زيارة الاربعين(تمثل انتصار الشعار الصادق على رهاقة السيف الظالم، ولتخلق روح التوافق والإلتئام، فإن اجتماع مجموعة من الناس واتحادهم في عمل ما بدافع العقيدة سيولد لا محالة وشائج وثيقة بين الافراد ويعزز العلاقات الاجتماعية)[٥٤] . هؤلاء المتطوعون يمارسون(دورا مهما في تنظيم انفسهم من دون ان يعولوا كثيرا على الدور الحكومي، سواء في مجال التنظيم او الخدمات المختلفة، وغالبا ما ينجحون في تنظيم هذه الزيارة بسبب الانضباط العالي والاستعداد الايجابي الذي يتحلى به معظم المشاركين اثناء الزيارة)[٥٥]، وقد اتاحت هذه المناسبة الفرصة للآلاف من الناس في العمل واكتساب المهارات التي استطاعوا – بعد هذه الزيارة- الاتكاء عليها في الحصول على عمل ببركة هذه الخدمة الميمونة .

على اننا لا نستطيع ان نجزم ان هذه الزيارة قد جلبت للعراق مكاسب مالية؛ لأن ما يصرفه العراقي انما هو بالمجان دون مقابل، وهذا وان كان يشكل حركة اقتصادية، اذ بواسطتها يتحرك السوق العراقي بل اسواق الدول المجاورة، لكنه بالنسبة لأهل العراق لا يعني شيئا ما دام الكل يعمل بالمجان والكل يقدم ما يعمله بدون مقابل، الا اذا استثنينا ما تحصل عليه الدولة العراقية من مكاسب من مجموعة تأشيرات الدخول التي يحصل عليها الزوار الاجانب اضافة الى العملات النقدية التي تدخل الى السوق العراقي.

خامسا: مقارنة العمل التطوعي الحسيني بالاعمال التطوعية الاخرى لغير الحسين:

اننا اذا ما حاولنا تتبع هذا الموضوع نجد ان هناك فروقا بين الاعمال التطوعية الحسينية وغير الحسينية، أي ما يقوم به المؤمنون اثناء زيارة الاربعين وبين غيرهم من المتطوعين. ومن تلك الفروق- التي سنقف عليها بعجالة- هي:

١- الدوافع الذاتية:

ان ما يقوم به المتطوع لخدمة زوار الامام الحسين يكون عن دوافع ذاتية بحتة دون ان يكون هناك محفز خارجي، بينما نجد ما يقوم به المتطوعون في البلدان الاخرى يحصلون من ورائه على مكافآت مالية، مثل اجور النقل وبعض المصروفات التي تقدم لهم كالطعام والشراب المجاني .

٢- حرية اختيار العمل التطوعي:

تفرض بعض الدول العمل التطوعي على مواطنيها بحجة انها تشجع افرادها على هذا العمل التطوعي، بينما نجد ان من يعمل للحسين(عليه السلام) يكون عمله طواعية وبدون الزام .

٣- التنافس الرسالي:

عندما يتطوع الناس في دول الغرب لإنجاح مشروع ما، يتصارع الكل من اجل انجاح مشروعه على حساب الآخرين، وهذا بدوره يسبب التوتر والكراهية بين الافراد انفسهم، بينما لا نجد أثرا لذلك عند المتطوعين لخدمة زوار الامام الحسين(عليه السلام)، فبالرغم من كثرة اصحاب المواكب الحسينية واختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم العرقية والقبلية والدينية والمذهبية والثقافية الا انهم جميعا متآلفين متحابين يتنافسون على مبدأ واحد ليس فيه بغض او تحاسد، فلا صراعات ولا مشاكل بينهم .

٤- الحالة التعبوية:

ان خدام الحسين(عليه السلام) يزدادون عاما بعد عام بأعداد هائلة دون ان يندرجوا ضمن مؤسسات، بينما لا نجد ذلك في المتطوعين في البلدان الاخرى، بل قد يحصل عندهم نقص في عدد المتطوعين، وهذه المقارنة تبين عظم ما يقوم به خدام الامام الحسين الذين يستحقون وقفة اجلال وإكبار، فهؤلاء مفخرة الانسانية يستحقون اشادة دولية، واكيد ان هذا لم يحدث ولم يشجع عليه احد من الدول؛ كون هؤلاء شيعة ينتمون الى الحسين رجل الانسانية الخالد .

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الاطلالة على الابعاد الاجتماعية لزيارة الاربعين لا بد من وقفة مع اهم ما توصلنا اليه من نتائج:

١- استطاعت زيارة الاربعين وعلى مدى وجودها من تحقيق مكاسب اجتماعية واخلاقية وسياسية واقتصادية .

٢- استطاعت هذه الزيارة ان تستقطب كل شرائح المجتمع سنة وشيعة، واستطاعت ان توحد المسلمين وغسل قلوبهم من ادران الطائفية والاحقاد الجاهلية، فهي حج آخر اجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب .

٣- ان الاعمال التطوعية التي يقوم بها المؤمنون ايام الاربعينية انما يعبرون من خلالها عن دعمهم وتاييدهم للخير والعدل والحق، واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل.

٤- تعتبر شعيرة الاربعين والشعائر الحسينية الاخرى شعارات حضارية راقية اذا ما قورنت ببقية الشعائر الموجودة عند غير المسلمين، وقد اثبتت انها ارقى الشعائر واكثرها فاعلية وتأثيرا وثورية، ويدل على ذلك ديمومتها واستمراريتها وتوقد جذوتها، منذ استشهاد ابي الاحرار الى يومنا هذا ولا زالت .

٥- الاهتمام البالغ لوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ومواكبتها لفعاليات واحداث هذه الشعيرة الكبيرة، لا سيما وسائل الاعلام الاجنبية التي ترتبط بالحكومات الغربية، من اجل متابعتها وتحليل مضامينها والحذر منها من ان تؤدي الى إحداث ثورة كبرى وهزة انسانية تؤدي الى ما لا يحمد عقباه .

٦- ان للعمل التطوعي فوائد وعائدات ايجابية على الفرد الممارس لهذا العمل خصوصا وعلى المجتمع عموما قد تكون مادية او معنوية يحصلون عليها بطرق عدة، اما العمل التطوعي لخدمة قضية الامام الحسين(عليه السلام) فان الممارسين له والمشاركين فيه لا يبغون الا الشفاعة والرضا من إمامهم ونوال الثواب والاجر الاخروي .

٧- ان العمل التطوعي قديم قدم وطأة الانسان على وجه الارض، لكنه يختلف قوة وضعفا في الحالات الطبيعية التي تواجهها الدول من الكوارث والازمات، فيزداد- العمل التطوعي- قوة عند حلول تلك الكوارث ويقل عند وجود الامن والامان .

التوصيات :

١- ضرورة انشاء وزارة خاصة لاقامة الشعائر الحسينية على غرار وزارة الحج والعمرة السعودية ، الهدف منها التنسيق والاعداد لمراسم الشعائر الحسينية لانها تحتاج الى من يديرها ويخطط لها بما يتناسب مع حجمها وكثرة المشاركين فيها وتحديد رسومها وتكاليفها ودقة ولطف شعائرها .

٢- اعداد طريقة للمخططين والمنفذين من خطباء وقراء للمراثي والمصائب والمواعظ واللطميات وتصفية الموروث الشيعي مما ادخل فيه ، ودراسة وتمحيص الروايات التي تقرأ وتتداول بين الخطباء واخراج ما هو ليس منها وادخال ما كان منها .

٣- بما ان ما تقدم يتطلب مهارة خاصة وتدريباً وفناً لذا يجب اشراك الفنيين والخبراء بهذا الجانب كون هذه الشعائر تتسم بالقداسة .

٤- ايجاد ميزانية مشتركة بين الدولة والمواطنين والتنسيق بينهما بغية عدم الاسراف والتبذير الذي نشهده في زيارة الاربعين .

٥- تثقيف الناس على هذه الشعائر تلافياً لما نرى من بعضهم من تصرفات لا تتلائم ووضع المعزين لال الرسول (ﷺ) .

٦- اخضاع المراسيم الشكلية للعزاء الذوق الفني والقدرة الرمزية والبعد الثقافي والحضاري لمختلف الناس المقيمين لهذه المراسم .

هوامش البحث

١- تفسير مقتنيات الدرر: الحائري الطهراني، ٢٣٢/٨ .

٢- مجلة حولية كلية البنات العدد ٨ لسنة ٢٠٠٧، بحث بعنوان(الشباب والعمل التطوعي) ص٥٥٠ .

٣-الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ٥١٥/١٦ .

٤- المصدر نفسه، ٢٦٢/١٨ .

٥- الخطاب السياسي والثقافي الموجه الى انصار الحسين: محمد مهدي الآصفي، ٥٦ .

٦- مجلة الغري، العدد ١١٩ لسنة ١٩٤٣م، ص٢٩٩ .

٧-الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين: حيدر الصمياني، ص٩٦ .

٨-بحار الانوار: المجلسي، ٢/٢ .

٩- المصدر نفسه، ٣٢٩/٩٨ .
١٠- مجلة شعائر،العدد ٤٦، السنة الرابعة، ١٤٣٥-٢٠١٤، مقالة للشيخ حسين الكوراني، ص٦ .
١١- مجلة السبط، العدد الرابع، ١٤٣٨-٢٠١٧، ص٩٤ .
١٢- لمعرفة القصة كاملة يُراجع مجلة العرفان، العدد ٢٢، ص٤٤٣ .
١٣- زيارة الاربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ١٣-١٤ .
١٤- تصنيف غرر الحكم: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، ٤٢٤، ح٩٧٥٢ .
١٥- الاخوة الايمانية من منظور الثقلين: محمد باقر الحكيم، ١٧ .
١٦- المصدر نفسه، ٨٧ .
١٧- الكافي: الكليني، ١٦٦/٢ .
١٨- بحار الانوار: المجلسي، ٣٠٣/٥٣ .
١٩- روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ٢٩٦ .
٢٠- لسان العرب: ابن منظور، ٢٢٢/٨ .
٢١- موسوعة ويكيبيديا لسنة ٢٠١٢ .
٢٢- العمل التطوعي من منظور عالمي، ابراهيم حسين، ٧٩ .
٢٣- حولية كلية البنات، بحث بعنوان:(الشباب والعمل التطوعي): د. عالية حبيب+ عبد العزيز ص٥٥٥، العدد ٨ لسنة ٢٠٠٧م .
٢٤- للتعرف على المزيد من تلك النظريات يُراجع المجلة التربوية التي تصدر من جامعة الكويت، العدد ١١٦، بحث بعنوان(دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع السعودي" دراسة ميدانية" د\. محمد بن عبد الله الحازمي وآخرون، ص٣٦٧ .
٢٥- زيارة الاربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ٦٩-٧٠ .
٢٦- المصدر نفسه، ٧٠ .
٢٧- المصدرنفسه، ١٠٢ .
٢٨- يُنظر: مجلة النبأ، العدد ٧٠ لسنة ٢٠٠٤م، ص١٤٣، مقالة للشيخ عبد الله احمد يوسف بعنوان:(إنماء المشاركة في العمل التطوعي) .
٢٩- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ٣٩٥/١ .
٣٠- المصدر نفسه، ٢٩/٤ .
٣١- صحيح البخاري: البخاري، ٩٨/٣ .
٣٢- بحار الانوار: المجلسي، ٢٣٤/٧١ .

٣٣-المصدر نفسه، ٧١/ ٢٣٤ .
٣٤- مجلة النبأ، العدد ٦٣ لسنة ١٤٢٢هـ،مقالة بعنوان:(دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع)، د. بلال عرابي، ص١٥٦ .
٣٥- المصدر نفسه، ١٥٧ .
٣٦-يُنظر: حولية كلية البنات، العدد (٨) ص٥٥٥ .
٣٧-شروط النهضة: مالك بن نبي، ٢١١ .
٣٨-المصدر نفسه، ٢١٢-٢١٣ .
٣٩- المصدر نفسه، ٢١٥-٢١٦ .
٤٠- عوالي اللآلئ: ابن ابي جمهور الاحسائي، ٢٧٩/١ .
٤١- اقبال الاعمال: ابن طاووس، ٦٦ .
٤٢- خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي الشيخ طه، ٢٣ .
٤٣- الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين(عليه السلام): حيدر الصمياني، ١٢٤ .
٤٤- جريدة القبس الكويتية، العدد ليوم ٢٠١٣/١٢/١٥ .
٤٥- زيارة الاربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ١٢١ .
٤٦- المنجد في اللغة: لويس معلوف، ٣٣٧ .
٤٧- الامام الحسين الشهيد والثورة: هادي المدرسي، ٢٦١.
٤٨- قصص الاربعين: قاسم الحلفي، ١٥-١٦ .
٤٩- المصدر نفسه، ١٦ .
٥٠- المصدر نفسه، ١٢٦ .
٥١- المصدر نفسه، ١٢٧ .
٥٢- مجلة الكوفة، بحث بعنوان:(تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث"طقوس زيارة الاربعين"): فرج الخطاب، ١٨٦ .
٥٣- مجلة النبأ، عدد عاشوراء ١٤٣٢هـ في ٢٤/ كانون الثاني، ٢٠١١م .
٥٤- خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي طه، ١٥ .
٥٥- مجلة الكوفة، بحث بعنوان:(تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث"طقوس زيارة الاربعين"): فرج الخطاب، ١٩٢ .
٥٦- يُنظر: زيارة الاربعين دلالات وآفاق: محمد عبد الرضا الساعدي، ١٢٤-١٢٩.

قائمة المصادر والمراجع

١- الاخوة الايمانية من منظور الثقلين: محمد باقر الحكيم: انتشارات الامام الحسين(عليه السلام) للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٢- الاربعين وفلسفة المشي للحسين(عليه السلام): حيدر الصمياني، وحدة الدراسات التخصصية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، العراق، كربلاء المقدسة .

٣-اقبال الاعمال: ابن طاووس، رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسين الحسيني(ت:٦٦٤هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٤- الامام الحسين الشهيد والثورة: هادي المدرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م .

٥- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

٦- الخطاب السياسي الثقافي الموجه الى انصار الحسين(عليه السلام) بمناسبة الذكرى الاربعينية لسنة ١٤٢٦هـ: محمد مهدي الآصفي، (بدون تاريخ ولا طبعة) .

٧- بحار الانوار الجامعة لدر اخبار الائمة الاطهار(عليهم السلام): محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

٨-تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٠م .

٩- تفسير مقتنيات الدرر: السيد مير علي الحائري الطهراني: تح: محمد وحيد الطبسي الحائري، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م .

١٠- خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي الشيخ طه، وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة، مطبعة دار الضياء، النجف الاشرف، ط١، ٢٠١٠م .

١١- روضة الواعظين: الفتال النيسابوري(ت:٥٠٨هـ)، تح: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، (د.ت)(د.ط) .

١٢- زيارة الاربعين دلالات وآفاق، خطوات في التنمية البشرية والتخطيط الاستراتيجي لحقول الزيارة، النشر: باقيات، المطبعة: الوردي، ط٤، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م .

١٣- شروط النهضة: مالك بن نبي، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط٣، ١٩٦٩م .

١٤- صحيح البخاري: البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
١٥- العمل التطوعي من منظور عالمي، المؤتمر الثاني للتطوع، المشاريع التنموية في المؤسسات الاهلية، الاولويات والتحديات، الشارقة،٢٣-٢٤/ كانون الثاني، ٢٠٠١ .
١٦- عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: إبن أبي جمهور الإحسائي ، محمد بن علي بن ابراهيم،(ت: نحو ٨٨٠هـ)، تح:مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٧- قصص الاربعين: قاسم الحلفي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الاعلام، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م .
١٨- الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب(ت:٣٢٩هـ)، تح: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، مطبعة حيدري، ط٤، ١٣٦٥هـ .
١٩- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل ،جمال الدين ، محمد بن مكرم الأفريقي ،(ت: ٧١١هـ)،تعليق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٠- المنجد في اللغة والاعلام: لويس معلوف، منشورات دار المشرق، بيروت، ط٣٥، ١٩٩٦م .
٢١- المجلة التربوية الصادرة عن جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد ١١٦، مجلد٢٩ لسنة ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، بحث بعنوان(دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي) د. محمد بن عبد الله الحازمي وآخرون .
٢٢- مجلة حولية كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن، ملحق سنة ٢٠٠٧م، جمهورية مصر العربية، المطبعة العمرانية، الجيزة، بحث بعنوان:(الشباب والعمل التطوعي: د. عالية حبيب عبد العزيز حبيب .
٢٣- مجلة السبط، تصدر عن العتبة الحسينية، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العدد(٤)، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، بحث بعنوان:(المسار التاريخي لزيارة الاربعين، النشأة والتطور): انتصار عبد عون محسن السعدي .
٢٤- مجلة الشعائر، العدد ٤٦، السنة الرابعة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، تصدر عن المركز الاسلامي في بيروت، مقالة لحسين الكوراني بعنوان:(زيارة الاربعين نبض وحدة الامة والمستضعفين) .
٢٥- مجلة العرفان العدد(٢٢)، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٠هـ .
٢٦- مجلة الغري، العراق، النجف الاشرف، العدد ١٩، ١٣ ربيع الاول، ١٣٦١ الموافق ٣١ آذار ١٩٤٣م السنة الثالثة .

٢٧- مجلة النبأ، تصدر عن المستقبل للثقافة والاعلام، العراق، بغداد، العدد(٧٠)، السنة العاشرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
٢٨- جريدة القبس الكويتية،تصدر عن الحكومة الكويتية،العدد ليوم ٢٠٠٣/١٢/١٥.
٢٩- الموسوعة الحرة(ويكيبيديا).HYPERL INK "http: // ar.wkipedia.org/ wikiB